خصائص العربية الفصحى

اتسمت اللغة العربية الفصحى من بين سائر اللُّغات الجزرية الأخرى بخصائص تفردت بها تجلت فيها مكانتها وقدرتها على التعبير، فشرفها الله تعالى بأنْ جعلها لغة القرآن الكريم. وهذه الخصائص هى:

ظاهرة الإعراب

تعد ظاهرة الإعراب من أشد خصائص اللغة العربية وضوحًا، ومراعاته فى الكلام هى الفارق الوحيد بين المعانى المكافئة.

قال ابن فارس[1]:

(فأما الإعراب فيه تميز المعانى ويوقف على أغراض المتكلمين وذلك أن قائلًا لو قال: (ما أحسنْ زيْد) غير مُعرِب، أو (ضرب عمرْ زيدْ) غير مُعرِب، لم يوقف على مراده. فإذا قال: (ما أحسنَ زيدًا) أو: (ما أحسنُ زيدٍ؟)، أو: (ما أحسنَ زيدٌ)، أبان بالإعراب عن المعنى الذى أراده).

والإعراب فى اللغة مصدر أعربت، وأعربت عن الشىء إذا ابنته، أو أفصحت عنه، وفلان معرب عما فى نفسه، أى: مبين له، موضح عنه[2].

أما فى الاصطلاح فقد وقفنا على تعريفات مختلفة توضح حقيقة الإعراب، وأقدم

---

(١) الصاحبى ٣٠٩.

(٢) الخصائص ١/ ٣٦.

المبحث الأول: الظاهر المقدر الذي يظهر العامل

ما وقفنا عليه قول سيبويه[1]: (فالرفع والجر والنصب والجزم لحروف الإعراب... وحروف الإعراب للأسماء المتمكنة وللأفعال المضارعة لأسماء الفاعلين التي في أوائلها الزوائد الأربع: الهمزة والتاء والياء والنون).

ونستخلص من عبارة سيبويه أن الإعراب هو: الرفع والجر والنصب والجزم.

وتابع كثير من النحاة رأي سيبويه على عصرنا هذا، ولكن قسمًا من النحاة كابن مالك[2] (ت ٦٧٣هـ) ذهب مذهب سيبويه إلا أنه ربط بالاقتضاء العامل له، مناقشًا في ذلك بنظرية العامل.

وعرف ابن السراج[3] (ت ٣١٦هـ) الإعراب بقوله (الإعراب: أن يختلف آخر الكلمة حركات ثلاث: ضم وفتح وكسر، أو حركتان فيهما فقط، أو حركتان وسكون، باختلاف العوامل، فإذا زال العامل زالت الحركة أو السكون).

وقال أبو علي النحوي[4] (ت ٣٧٧هـ):

(الإعراب: أن يختلف أواخر الكلم لاختلاف العامل، مثال ذلك: هذا رجل، ورأيت رجلًا، ومررت برجل، فالآخر ممن هذا الاسم قد اختلف باعتقاب الحركات على آخره واعتقاب هذه الحركات المختلفة على الآخر إنما هو لاختلاف العوامل التي هي: هذا، ورأيت، والباء في مررت برجل. فهذه عوامل كل واحد منها غير الآخر).

وقد تأثر بهذا التعريف كثيرون منهم على سبيل المثال لا الحصر: الصيمري[5] (ق ٥هـ)، والزمخشري[6] (ت ٥٣٨هـ). وابن الحاجب[7] (ت ٦٤٦هـ)، وابن عصفور[8] (ت ٦٦٩هـ)..

---

(١) الكتاب ١/ ١٣.
(٢) شرح عمدة الحافظ ١٠٧.
(٣) الموجز في النحو ٢٨.
(٤) الإيضاح العضدي ٥٦.
(٥) التبصرة والتذكرة ٧٦.
(٦) النموذج ٨٣.
(٧) الكافية في النحو ٦١.
(٨) المقرب ٤٧.

ومن النحاة من حد الإعراب بالأثر الظاهر أو المقدر الذى جلبه العامل فى آخر الكلمة المعربة، قال ابن هشام[1] (ت ٧٦١هـ):

(الإعراب: أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل فى آخر الكلمة).

ونخلص من جميع ما تقدم على أن الإعراب:

(١) هو الرفع والنصب والجر والجزم.

(٢) هو تغير أو اختلاف أواخر الكلمة المعربة.

(٣) هو الأثر الظاهر أو المقدر فى آخر الكلمة المعربة.

ولما أصابت العربية حظًا من التطور أضحى الإعراب أقوى عناصرها، وأبرز خصائصها، بل سرّ جمالها، وأمست قوانينه وضوابطه هى العاصمة من الخطأ. قال ابن قتيبة:[2]

(ولها الإعراب الذى جعله الله وشيًا لكلامها، وحلية لنظامها، وفارقًا فى بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين، والمعنيين المختلفين كالفاعل والمفعول، لا يفرق بينهما، إذا تساوت حالاهما فى أماكن الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلّا الإعراب. ولو أنّ قائلا قال: هذا قاتلٌ أخى، بالتنوين، وقال آخر: هذا قاتلُ أخي] بالإضافة، لدلّ التنوين على أنه لم يقتله، ودلّ حذف التنوين على أنه قد قتله).

وقال ابن فارس[3]:

(من العلوم الجليلة التى اختصت بها العرب الإعراب الذى هو الفارق بين المعانى المتكافئة فى اللفظ، وبه يعرف الخبر الذى هو أصل الكلام، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد).

---

(١) قطر الندى ١٦، وشذور الذهب ٣٣، والجامع الصغير.

(٢) تأويل مشكل القرآن ـ ١.

(٣) الصاحبى ٧٦.

فالإعراب أساس وقديم فى لغة العرب، وكان عمل العلماء يتلخص فى أنهم استنبطوا قواعده من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر.

وقد ذهب قسم من المستشرقين إلى أن الإعراب حدث بعد نزول القرآن بزمن، وقد ردّ على هؤلاء الدكتور صبحى الصالح[1].

ولابد من الإشارة إلى أنّ تواتر روايات ظهور اللحن فى الإعراب فى عهد النبى، صلى الله عليه وسلم، وعهد الخلافة الإسلامية، دليل على أن العربية الفصحى التى نزل بها القرآن الكريم كانت معربة.

فقد رُوى أنّ رجلا لحن بحضرة النبى، صلى الله عليه وسلم، فقال: (أرشدوا أخاكم فقد ضلّ)[2].

ورُوى عن أبى بكر الصديق (رض) أنه قال: (لأنْ اقرأ وأسقط أحبّ إلى من أنْ اقرأ وألحن)[3].

ورُى عن عمر (رض) أنه قال: (مَنْ قرأ القرآن فأعربَ به فمات، كان له عند الله يوم القيامة كأجر شهيد)[4].

ونختم كلامنا بقول أبى بكر الزبيدي[5].

(ولم تزل العرب تنطق على سجيتها فى صدر إسلامها وماضى جاهليتها، حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان، فدخل الناس فيه أفواجًا، وأقبلوا إليه أرسالًا، واجتمعت فيه الألسنة المتفرقة، واللغات المختلفة، ففشا الفساد فى اللغة العربية، واستبان منه فى الإعراب الذى هو جليها والموضح لمعانيها).

---

(١) دراسات فى فقه اللغة ١٢٢.

(٢) مراتب النحويين ٥.

(٣) أخبار النحويين ٢٥.

(٤) أخبار النحويين ٢٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner